نفح الطيب

فى طبعته الجديدة

بقلم الأستاذ أحمد يوسف نجاتى

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

٣ — لم يقل الشارح الذى علّق على ما فى صفحة ٥٢ إن القدماء جميعاً لم يذكروا الأهرام إلا بصيغة التثنية ولكنه قال : إن شعراء الماضى يذكرون الهرمين ، وليس معنى هذا أنهم لا يذكرون الأهرام ، ولكن الغرض أن الكثير الشائع على ألسنة أغلب الشعراء ذكر الهرمين : هرمى خوفو وخفرع كما فى قول المتنبى ، وقول لسان الدين بن الخطيب وغيرهما ، وخطب هذا يسير أيضاً

٤ — قد يكون تفسير الرسيم فى صفحة ٦١ ناقصاً كما يقول حضرته ، بل كان خيراً لو بينت مرتبة هذا الرسيم من السير ، ولكن لو تتبع حضرته كل صفحات الجزء لوجد أنها مشروحة شرحا شافياً فى غير هذا الموضع ؛ ودعوى أن أمثالها فى الكتاب كثير دعوى مجازفة لا ينهض عليها دليل ؛ بل إن بعض الكلمات اللغوية التى يوجز فى شرحها فى موضع يشبع القول فيها فى موضع آخر ؛ ولو فصل القول فى كل مرة للعبارة الواحدة — والكلمة قد تتكرر فى الكتاب نحو مائة مرة لكان هذا البيان (فضولاً) من القول يتحقق به وصف الناقد الأديب صانه الله

٥ — شكرنا لحضرة الكاتب أن أحسن ظنه بالشارح فى مثل هذا التحريف الذى يدركه كل قارئ فى صفحة ٧٩ حتى أن نقطتى قاف (فشرقنا) فى ذيل ص ١٤ ظاهرتان جد الظهور

٦ — أضم صوتى الى حضرة الناقد الأديب فى أن شرح الأثير ص ٩٨ الشرح الأول خطأ لا يصح — ويعلم الله كيف سرى هذا التفسير إلى الكتاب فقد سها عن محوه مراجع النموذج الأخير وكان قد أثبته غيره ، وان كان حضرة الناقد إنما يوجه نقده الى ما فى الكتاب من تفسير خاطئ لبعض كلماته من حيث هو خاطئ . وليس بدافع اللوم عن هذا الخطأ تمدد الأيدى فى الشرح فهى متكاتفة على العمل متضامنة فيه ولكن الكرام يعفون عن نصف تفسير خاطئ لأكثر من ألفى تفسير مصيب . وأما التفسير الثانى الذى أتى به الشارح لكلمة الأثير فالنظر الدقيق يؤيده ، والذوق السليم لا يبعده ، بل هو الذى رآه حضرة الناقد بعينه ، لا بل إن الشارح قد قال فيه أكثر مما قال ، وكان يحسن بحضرته أن يأتى بنص العبارة تاما ولا يختزلها . وما رآه حضرته من أن صحة العبارة : ومسحنا بالخطا منها أثراً وصفيحا لا نراه ، بل صحة العبارة كما هى فى الأصل (أثيراً) الموازنة (صفيحاً) فان أثر السيف ، أثره ، وأثيره ، فرنده ورونقه ، وكأن المقرى جعل الطريق سيفاً لاستطالته ودقته وصعوبة السير فيه وجعل خطاهم به وقطعهم إياه مسحا له

٧ — ليت شعرى ما الدليل على أن (الشارح) لم يطمئن (ص ١٣٩) لكلمة الرباع بالباء الموحدة ؟ ويا لله لمن يدرى خلجات النفوس أكثر من أصحابها ويعرف اطمئنان القلوب وقلقها وإن لم يشعر بذلك ذووها . ولو أن الشارح لم يطمئن لها لاستبدل بها فى الأصل غيرها كدأبه فى كثير من صفحات الكتاب مع تنبيهه إلى ذلك ، ولكنه أبقاه لارتياحه إليه واطمئنانه به ، ثم قال أيضاً فى أسفل الصفحة تعليقاً عليه (لعلها الرياع بالياء المثناة أى الربيع والنماء والزيادة ، و (لعل) تفيد معنى ربما ، وقد يكون ، ولا يزال الشارح مصرا على ذلك الجواز فكلا المعنيين لا غبار عليه . أما المعنى الأول فيجذب إليه كلمة (البقاع) فان الرباع جمع ربع بمعنى الدار والمحلة والمنزل والوطن ، فهو بذلك التفسير مناسب للبقاع ؛ وقد يكون الربع بمعنى أهل المنزل مثل السكن ، وجماعة الناس ، ولست أحيل أن يكون (رباع) جمعاً لربع بهذا المعنى الذى يراه حضرة الناقد وإن كان الأنسب أن تكون بمعنى الأماكن معطوفة فى سجعة المقرى على كلمة البقاع . وأما الرأى الثانى وهو أن تكون الكلمة (الرياع) فيقتضيه كلمة الفضل المجاورة له ، ولا زلنا نصر على رأينا (أن اللغة تقول بملء فيها (الرياع) بمعنى النماء والزيادة ، ويقول أهل اللغة : راع الطعام وغيره رَيْعاً رُيوعا ورياعا ورَيَعانا إذا نما وزاد وزكا

٨ — قال حضرة الناقد وفى ص١٥٢ قول القائل فى وصف دمشق :

... أو تكن فى السماء فهى عليها قد (أمدّت) هواءها ومواها

فقال الشارح : لعلها أمرّت ! ؟ نقول ومعنى أمرت أذهبت ولا يصح المعنى على هذا (الحدس) الخ . ونحن نقول : إنا لا نزال عند رأينا فى جواز إرادة معنى أمرّت ، وإن اللغة تقول : أمرّ كذا بالشىء إذا جعله يمرّ به وينعطف عليه ، والمعنى الذى شرحه لكلمة (أمدت) فيه شىء من القلق لا يساعد عليه كثيراً تركيب البيت

٩ — اشتد حضرة الكاتب فى حملته على تعليقنا الذى رأينا جوازه فى معنى كلمة (الشمال) بصفحة ١٨١ عند قول الشاعر :

تمتع بالرقاد على (شمال) فسوف يطول نومك باليمين

فقد قال الشارح (يجوز) أن تكون (شمال) جمع شملة وهى كساء يشتمل به ... ثم أتى بحديث على رضى الله عنه الخ فقال حضرة الناقد الأديب — بعد أن نقل العبارة مقتضبة : (وهذا كله شرح فاسد) فان المراد بالشمال مقابل اليمين ، إذ المعنى : تمتع بالنوم على جنبك الشمال فى الحياة قبل أن يستمر نومك باليمين . ولا زلنا مصرين جد الاصرار على أن هذا المعنى جائز — وان لم يكن متيقنا — بل ان سياق الحديث ربما رجح هذا المعنى . قال المقرى : ويحث على انتهاز فرصة اللقاء اذ هى غنيمة ، ويذكر بقول من قال — وأكف الدهر موقظة ومنيمة : تمتع بالرقاد على شمال الخ . فالشاعر يحض على انتهاز الفرصة وانتهاب المسرة ، ويحرض المرء أن يختلس غفلات الدهر اذا نامت عيونه عنه فيتمتع من يحب بالنوم على هذه الشمال التى تجمع الشمل وتلم الشتات يلتف المتحابان بها اذا لفهما الليل بشملته قبل أن يودع كلاهما بطن الثرى فلا يكون فراش وثير ولا مضجع ممهد ، وإنما يوسد فى القبر يمينه ، ويجعل عمله لا حبيبه قرينه . ومن لفظ (الشملة) اشتقت العرب معنى الشمل واجتماعه ، والجمع والتئامه

وإنا لنعجب جد العجب من وضع حضرة الكاتب علامتى التعجب والاستفهام بعد قولنا (وفى حديث على ؟!) فليس فى العبارة ما يتعجب منه ولا فيها منكر يستفهم عنه . فما أحوج علامتيه هاتين إلى بضع علامات التعجب والاستفهام

قال الناقد الأديب فى شرح زجر الطير (وهذا فضول فى الشرح ومثله فى الكتاب كثير) وهاأنذا هو يان يصعب على حضرته تأييدها ، فان ما يراه حضرة الناقد فضولاً قد يراه غيره لازماً ؛ والضعيف أمير الركب . وهل على الشارح من حرج أو ضير وهو يشرح بيتاً يقول : إذ زجرنا للوصل أيمن طير ، أن يبين أن زجر الطير كان عادة جاهلية أبطلها الاسلام (وإن لم يرد الشاعر هنا حقيقة معناها البدوى) . وأى فضول فى هذا البيان الذى استدعته المناسبة وجر اليه الحديث وهو ذو شجون ؟

قال حضرته : وفى صفحة ٢٠٣ قرأت قول ابن الخياط :

فلم أر الطرة حتى جرت دموع عينى بالمريزيب

ثم قال وأنا أحفظها كالمريزيب وهى أصح وأبين . وأنا أقول كلتا الروايتين لا بأس بها والمعنى عليهما واحد

أما مانبه اليه فى صفحة ٢٢٠ من أن المراد بالفتى الطائى هو البحترى لا أبو تمام فلم يفت الشارح ، بل سبقه إلى التنبيه عليه منذ شهرين فى الاستدراك على الجزء الأول الذى طبع ملحقاً بالجزء الثانى ؛ وكان يجمل بحضرة الناقد الحكيم أن يطلع عليه قبل أن يسجل نقده على صفحات الرسالة الغراء ؛ وقد تداولت الأيدى الجزء الثانى من مدة غير قصيرة (يريد بالفتى الطائى أبا عبادة البحترى لسبق ذكره فى هذه الأبيات) وقول حضرته إنه يريد بامرئ يصطاد نسر الجو بالنسر نفسه على جهة التشبيه بامرئ القيس (كما قلنا فى ذيل صفحة ٢٢٠) أخالفه فيه ، فقد يسوغ لى أن أرى الآن خلاف ما ذهبنا اليه معاً فى ذلك بل يصح أن يكون امرؤ القيس لا دخل له هنا ، وأن الشاعر (وهو ابن شاهين) إنما يرى نفسه كالبحترى الذى يزعم أنه ورث منه طرفاً كريماً وجواداً سابقاً أعنقت عليه قصيدته ، وسار مسرعاً عليه أدبه ، وأنه يريد (بامرئ يصطاد نسر الجو بالنسر) ممدوحه المقرى إقراراً من الشاعر بأنه أشعر منه كما صرح بذلك من قبل فى قوله :

ورثته منه ولكنما من شاعر وافى الى أشعر

فالشاعر ابن شاهين هو نسر الجو (وقد اصطنع التوجيه والتورية فى اسمه (شاهين) نسر الجو ، والذى يصطاد نسر الجو بالنسر ويتغلب عليه هو المقرى الممدوح بالقصيدة ، يعنى أنه أقوى من النسر ، وأشد افتراساً من الشاهين . والغرض من هذا أنه أشعر وأقدر وذلك ظاهر واضح لمن يتأمل

ومثل ذلك ما أخذه حضرته على تعليقنا على مدينة (بردبل) بصفحة ٢٥٧ ، فقد تلافينا هذا السهو بالاستدراك ، فنرجو حضرته أن يطلع عليه بصفحة ١٠ منه ، بل قد نبهنا إليه مرة أخرى فى الجزء الثالث وأشبعنا القول فى هذه المدينة ، وهدانا الله منذ زمن الى موقعها ، والى لغات العرب فيها ، بل الى لغات غير العرب ، وقلنا إنها هى مدينة بوردو ، وأطلنا الكلام فى ذلك بالجزأين الثانى والثالث

وفى الختام نقول لحضرة الكاتب أن اسم صاحب المرية هو (خَيْران) الفتى العامرى الصقلبى وإليه تنسب قلعة خَيْران بالأندلس . أما ما فى الاحاطة من أن اسمه (خيروان) فهو تحريف فاسد لا يعول عليه ، وإنما هو (خَيْران) (فَعْلان من الخير) وقد ذكرنا ترجمته وتكلمنا عليه طويلاً فى الجزأين الثالث والرابع (الذى يجرى الطبع فيه) والشارح يعرف من قديم (خَيْران) هذا فله أثر عظيم فى تاريخ العرب بالأندلس ، وهو مشهور لدى المؤرخين وليس من رجال الأندلس من يسمى خيروان أبداً

وأرجو من حضرة صديق النيب أن يحمل حديثى هذا على